ملامح الأسلوب في قصة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم
مشهدي الحوار وإلقاء العصا أنموذجا

الدكتور
قصي إبراهيم نعمة
الدكتور
أحمد حيال جهاد
جامعة ذي قار - كلية التربية للعلوم

أوروك للعلوم الإنسانية
المجلد : ٧ – العدد : ٣ - السنة :٢٠١٤

ملامح الأسلوب في قصة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم
مشهدي الحوار وإلقاء العصا أنموذجا

الدكتور
قصي إبراهيم نعمة
الدكتور
أحمد حيال جهاد
جامعة ذي قار - كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث :

شكل القص القرآني علامة كبرى في الموروث السردي العربي ليس لإعجازه من الناحية الدينية واللغوية فحسب بل للتقنية العالية التي ورد في سياقها، خاصة ذلك التوازن الدقيق بين عناصر القصة وما يكتنفها من تشويق ومفاجئة وعدم افتعال وتلقائية شديدة في عرض الأحداث وبين الموضوع الرئيس للقصة ذاتها . كذلك فان المبنى الأسلوبي المميز يعد إحدى علامات القص القرآني إذ تتناوب على القصة الواحدة أساليب شتى يحتمها السياق الذي اجتلبت من اجله وهذا ما كان جليا في قصة موسى عليه السلام، فقد وردت هذه في عدة سور كريمة وكان في كل مرة هناك ملمح أسلوبي يتجارى مع السياق الذي اكتنف الجانب المعروض من القصة ، ومع أن البحث لم يحط بكل قصة موسى عليه السلام إذ اكتفى بمشهدي الحوار بين موسى وفرعون وإلقاء العصا إلا أن هاتين الثيمتين شكلتا مدخلا صالحا للإشارة لباقي أجزاء القصة ولعل السبب في ذلك محوريتهما إذ يكادا أن يكونا قطب الرحى في هذه القصة والمحور الذي تلتف حوله كل الأحداث والمكونات القصصية . أما أهم السمات الأسلوبية التي تم تسجيلها ومن ثم دراستها فهي التردد الو التكرار الأسلوبي والتوازي والتماثلات الأسلوبية .

المدخل :

إن القصة بمفهومها الفني الحديث تخضع لعناصر مختلفة يكون للمؤلف أثر في صياغتها وبلورتها على أساس العناصر العامة للفن القصصي ، فتتشكل نتيجة لذلك حبكة القصة التي تحوم الوقائع عليها و تتشكل بعض المواقف والأحداث.

فالعمل القصصي يقوم على محورين هما:

أما الشخصية أو الحدث ، بمعنى أن تكون الشخصية هي الفلك الذي تدور حوله الأحداث ، أو أن تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشخصيات ، وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث ، فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجمع مرة بعد مرة [١].

وهذا ما نجده في القصص التي يكتبها الأدباء لأنهم يعنون عناية كبيرة جداً بالأحداث وتسلسلها، والملابسات وتتابعها أكثر من العناية بالأشخاص ، ويعرف الأدب القصصي الذي يكون على هذا الشكل في محيط النقد الأدبي باسم (قصص الأحداث) ويقابل هذا النوع من القصص ما يسمى باسم ((روايات الشخصيات)) ، أما القصص الذي تتوازن فيها الأحداث والشخصيات معاً فتسمى بـ ((قصص الأحداث والشخصيات))[٢].

وقد يلحظ في القصص التاريخي غلبة الشخصية على الحدث فيكون الشخص هو محور الحركة في القصة ، وهو متعلق بالأحداث الجارية منها ويصدق هذا على القصص المتخيل ، إذ كان الناس دائماً يحبون أن يروا أنفسهم في غيرهم ، وأن يشاهدوا الإنسان كيف يواجه الأحداث التي يواجهونها وكيف يكون موقفه حيالها ، ذلك أن الناس لا يعنيهم الحدث من حيث هو ، وإنما يعنيهم إذا كان مما يقع في حياتهم ، ويتصل بوجودهم ، إذ هو لا يقوم في هذا الوضع إلا بالإنسان أو في إنسان، ومن هنا كان أبطال القصص التاريخي أو الخيالي أشخاصاً لا أحداثاً ،وهذا في الأعم الأغلب[٣].

أما القصص القرآني المعجز ، فنرى فيه المزج التام بين الشخصية والحدث ثم إدارة المشاهد القصصية في هذا الفلك ، بحيث تكون هذه المشاهد موزعة توزيعاً محكماً متوازناً بين الشخصية والحدث ، ومن ثم فأن المتلقي للقصة لا يجد موقفاً من المواقف تستقل فيه الشخصية عن الحدث أو يستقل فيها الحدث عن الشخصية حرصاً من القرآن الكريم على (الوحدة القصصية) في كل صورها وأوضاعها ، ومن ثم كانت الشخصية في القصة القرآنية وسيلة لغاية واضحة محددة ، فهي مجرد شاهد من شواهد الإنسانية في مختلف حالاتها من قوة وضعف أو استقامة وانحراف ، أو إيمان وكفر ، أو حب وبغض ، أو صفاء وحقد ، أو حكمة وسفاهة أو هداية وضلال إلى غير ذلك مما تندرج تحته عوالم الإنسانية ، وتتشعب فيه مذاهب سعيها ومسلكها في مضطرب الحياة ، كذلك كان الحدث في القصص القرآني مخباراً يختبر به النموذج الإنساني الذي تقدمه القصة ويكشف عن دخائله ووسائله وانفعالاته وأفكاره ، فإذا أنت أمام إنسان تكاد ترى نفسك فيه لا بوصفك المشخص ، وإنما بوصفك أحد أفراد هذا الجنس ، وفي ذلك دلالة قوية جدا على أن في القصص القرآني تدبيراً عجيباً معجزاً يمزج الشخصية بالحدث ، ليخلق من هذا المزيج مركزاً تدور حوله المشاهد ليحقق به القرآن الكريم ما يهدف إليه قصصه من هداية وتوجيه ، وتربية وعظة ، فالأشخاص في القصص القرآني ـ أياً كانوا ـ غير مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم وكشف أحوالهم ، والتمجيد أو التنديد بأعمالهم ، وكذلك الشأن في الأحداث التي يعرضها القرآن الكريم في قصصه ، ليست مقصودة لذاتها مهما كانت قيمتها في وقائع التاريخ ، ولم يكن ذلك في قصة أو قصتين ، وإنما هو منهج عام ، وطريق موحد ، وأسلوب قصصي ملتزم في سائر القص القرآني[٤] ، لأن القصص القرآني يتعامل مع واقع لا محتمل آخذاً بنظر الاعتبار العناصر التي تبين وتظهر الأفكار التي يهدف إليها النص القرآني[٥].

من ذلك قصة موسى عليه السلام التي شملت كل ما يطلق عليه النقاد المحدثون عنصر الأحداث والحبكة القصصية وعناصر الظرف المكاني والزماني لأحداث القصة، فضلاً عما يسمى عندهم بعنصر التشويق ، وعنصر القضاء والقدر ، وعنصر المعجزات والخوارق، وعنصر الصراع والحوار(٦).

لقد جرت القصة كسائر القصص القرآني على قاعدة قصصية في سرد الأحداث وهي التركيز على العبرة المستمرة من أخبار الأمم الماضية ، وهي أخبار تستعمل في أغلبها على صور من الصراع بين الخير والشر والهدى والضلال(٧).

وعنصر الأحداث في قصة موسى عليه السلام مشتمل على صور كثيرة من الحوار والجدل بين موسى عليه السلام وفرعون وبين موسى عليه السلام السحرة ،وقد تلونت الأحداث فيها أيضاً بذكر الأمور الخارقة كما في عصا موسى عليه السلام التي ضرب بها الحجر فتفجرت منه عيون الماء هي نفسها العصا المعجزة التي تحولت إلى حية تسعى وثعبان مبين وتهتز كأنها جان وتلقف ما يأفكون ، وهي نفسها التي عبدت طريقا لبني إسرائيل في البحر يبساً ، فضلاً عما اكتنف هذا الصراع من مشاهد الوعيد لموسى عليه السلام وهربه من فرعون وملئه ، ولا يفارق عنصر التشويق هذه القصة وهو عنصر نلمسه في متابعتنا للقصة أو غيرها من قصص القرآن ، ولهذا جاءت القصة منظومة على وجه بياني معجز ، وهذا ما نلحظه منذ بدء القصة في قوله تعالى : {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} ﴿ طه : ٩ ﴾ ، فهو سؤال يثير الانتباه ويحضر الفكر لمعرفة الإجابة ومتابعة أحداث القصة ، وعنصرا المكان والزمان من العناصر البارزة في قصة موسى عليه السلام إذ تضمنت القصة ذكراً للأرض المقدسة في مصر ، وجانب الطور والوادي المقدس أو مكانا سوى ، ويوم الزينة وغير ذلك(٨).

والمتتبع لقصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم يجدها زاخرة بخصائص الأسلوب القرآني البديع من جوانبه كافة سواء الصوتية والإفرادية والبنيوية والتركيبية ، فهي عبارة عن مشاهد ولقطات تصور أوضاعاً وأحداثاً تتناسب معها ما يجعل كلامنا بنية

كبرى مكملة لغيرها على الاسترجاع والتتابع كما يجعل الأحداث فيها تتنامى إلى القمة ، وتبرز تلك الخصائص جلية في مشهدين من مشاهد القصة الطويلة وهما :

ـ مشهد الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون.

ـ مشهد إلقاء موسى عليه السلام عصاه.

السرد القصصي لقصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم

من عناصر البناء البارزة في القصص القرآني تنوع أساليب السرد التي تعرض من خلالها الحوادث المتتابعة في القصة الواحدة ،فمرة يأتي في مطلع القصة القرآنية ملخصا يسبقها ثم تأتي التفصيلات بعد ذلك(٩).

ومرة يتدفق السرد مباشرة بلا مقدمات ولا تلخيصات فندخل في صلب القصة من أول وهلة فتكون مفاجآتها الغريبة علينا تغني عن أي تقديم أو تمهيد(١٠) ، وأحياناً تكون القصة على شكل حوارية قصيرة أو طويلة فتكون ألفاظها نفسها هي المنبه لها بأن الستارة قد رفعت ثم تنساب القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها(١١). ويدخل في هذا الطراز من القصص الجدلية بين نوح وقومه وهود وقومه وصالح وقومه ، فنرى اتفاقاً في السياقات وتكراراً لبعض العبارات وقد جيء بذلك موحد البنية للدلالة على وحدة العقيدة ووحدة الرسالة ،ثم تساوي البشر في العناد ضمن العبارات المكررة في القصص الجدلية لهؤلاء الأنبياء : {**يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ**}، وهذا النوع من القصص يُقصد به الحاجة العقلية المجردة غالباً فتخلو من التأثيرات الوجدانية والتجسيدات الفنية. ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها وذلك كقصة موسى عليه السلام (١٢) التي لم تلتزم طريقاً واحداً من حيث الطول والقصر والتفصيل والإجمال في السور التي وردت فيها بل لم يكتمل بناء القصة في سورة واحدة كما نقرأها في كتب قصص الأنبياء ، بدءاً من ولادة موسى عليه السلام التي لم تخل من المعجزة وانتهاءً بإتمام رسالته وإقامته في الأرض المقدسة هو وبنو إسرائيل.

وبعد أن أجملت القصة إجمالاً مشوقاً مركزاً، بدأ تفصيلها من خلال توجيه السرد من منظور المتكلم السارد الآن الفاعل فيما كان ، وقد توجه السرد مباشرة إلى المخاطب فالقص جار أمامنا نحن المتلقين باستعمال (عليك) من خلال الحضور في الفعل المضارع (نقص) بكل دلالاته الاستحضارية ،أما المتلقي فنرى نحن المتلقين إننا قد أصبحنا مشتركين في المشهد ولسنا مجرد مشاهدين فقط(١٣)، وهذا جاء من خلال بث مشاهد القصة بثاً في أثناء أكثر من أربع عشرة سورة من القرآن الكريم وكل سورة عالجت جانباً محدداً من القصة وتركت الجوانب الأخرى منها السور الأخريات ، فقد وردت مشاهد مفصلة للقصة في البقرة والأعراف والشعراء وطه ويونس والقصص ، وأجملت تفاصيل القصة في المائدة وهود والإسراء ، والمؤمنون ، والفرقان ، وغافر، والذاريات ، والنازعات ، وطول السرد القصصي للسورة وقصره في القرآن الكريم مبني على من وقع عليهم الخطاب، فلما كان الخطاب موجها لبني إسرائيل جاءت القصة طويلة ولما كان الخطاب لأمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) جاءت القصة موجزة بما يتلاءم وفصاحة العرب وبيانهم. فضلاً عن أن القرآن نوّع في أسلوب تقديم مفاجآت في قصصه فهي تأتي على صور مختلفة فقد يكتم القرآن سر المفاجآت عن بطل القصة وقرائها حين ينكشف لهم الأمر في آن واحد في نهاية القصة ، وفي ذلك إغراء للقارئ واستحواذ على مشاعره لشده لموضوع القصة حتى يفرغ منها تماماً ، وليس هذا من قبيل الإثارة المجانية أو التشويق الساذج ، وإنما لتهيئة مشاعر ووجدان القارئ لتلقي الحكمة من وراء القصة بلا مقاومة شعورية ، من ذلك قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح فتستنفر القصة مشاعر موسى عليه السلام ومشاعر القارئ إلى أقصى حد بهذه الأمور التي لم يحط بها خبرا ويتأزم الأمر بارتكاب العبد الصالح أول فعل ثم الثاني والثالث من الأفعال المدهشة وتبدأ الاعتراضات اعتراضات موسى وكذلك اعتراض القارئ حتى يعيد قراءة القصة مرات فينكشف

السر الذي وراء كل هذه المعميات بعد أن يبلغ التوتر غايته عند موسى وعند القارئ.

إن أسلوب قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم تراوح بين الإجمال والتفصيل فأما السور التي عرضت جوانب مفصلة من القصة فهي :

١- البقرة من الآية ٤٧ إلى الآية ٧٤ وفيها عرض لجانب من تاريخ بني إسرائيل الذي شهد خروج موسى معهم هاربين من بطش فرعون وجنوده، ثم هلاك فرعون وملئه في البحر ،ونجاة موسى وبني إسرائيل وإقامتهم في الأرض المقدسة، واتخاذهم العجل ،ونزاعهم بشان ذبح البقرة أي أن قصة موسى عليه السلام في البقرة تبدأ من المنتصف ولم تجاوزه كثيراً ، ذلك أنها خلت من ولادة موسى ونشأته وقتله النفس واعتزاله في مدين وزواجه ثم تكليفه وعضده بالمعجزات وشد أزره بأخيه وحواره مع فرعون والسحرة وما إلى ذلك من تفاصيل دقيقة لم تعرضها البقرة التي هي في كثير من آياتها سرد لأخبار الأمم السابقة ،فضلاً عن ذلك إن هناك من يرى أن قصة موسى عليه السلام تعرض في بادئ الأمر مقتضبة موجزة عادة ثم تستمر حلقاتها ، وينمو جسمها في سور أخرى إلى أن تنتهي إلى شكلها النهائي ثم تعود الإشارة إليها في شكل ومضات ولقطات سريعة في ملابسات تقتضي التمثيل والاستشهاد بها(١٤).

٢- الأعراف فقد عرضت لقصة موسى عليه السلام من آية ١٠٣ إلى آية ١٦٨ وفيها تفصيل اكثر من غيرها لمشاهد واسعة من القصة التي تبدأ بالتكليف الإلهي لموسى ،وذهابه إلى فرعون ،وحواره معه وإظهاره المعجزات له وللسحرة ،واستسلام السحرة لموسى عليه السلام ،وطغيان فرعون ،ثم صبر القوم المؤمنين على إيذاء فرعون ، وعقاب الله سبحانه لفرعون وأصحابه بنقص الثمرات ثم الإغراق في البحر ونجاة موسى وصحبه ودخولهم الأرض المقدسة التي تتلاحق أحداث القصة فيها ،مثل رغبة بني إسرائيل باتخاذهم الصنم ثم ميقات موسى عليه السلام ،واتخاذ قومه

العجل،وعتاب موسى لأخيه، وتيهان بني إسرائيل في الأرض ،ثم استسقاء موسى إلى آخر القصة التي تبدو مفصلة أيما تفصيل منذ بدء الدعوة الموسوية حتى ختامها. وبهذا يتضح لنا أن سورة الأعراف يغلب عليها طابع القص التاريخي في الموضوعات التي تناولتها على عكس ما جاء في مثيلاتها المكيات مثل سورة طه والشعراء والنمل والقصص.

وجاء السرد في سورة الأعراف بمستوى التفاتي معين ففي قوله تعالى : {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ} [الاعراف١٣٨] فقالب السرد في هذه الجزئية من القصة هو بضمير المتكلم (وجاوزنا) ، فالسارد هو الذي جاوز وكذلك (أنجيناكم) فالسارد هو الذي أنجى ، ويتجلى السرد بضمير المتكلم في الآيات اللاحقة : {**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ...** } **[الاعراف١٣٥]** فالسارد هو الفاعل في كل الآيات وفي آية ((وواعدنا)) ينتقل السرد من الضمير الغائب في قوله : {**....مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً....** } **[الاعراف ١٤٢]** فلم يقل (فتم ميقاتنا) في مستوى السرد الأول ،والقالب لأسلوب السرد في قصة موسى هو الخطاب، فهذه بعض مواطن تبدل مستويات القص في القصة القرآنية وهي تقع موقعاً تجسيدياً نافذاً يمكن ان يقارن بما في القصة الحديثة من تقنيات الانتقال بين الضمائر من متكلم إلى مخاطب إلى غائب ، أو الانتقال بين الصيغ الفعلية ، غير أن مثل هذه الموازنة ينبغي ألا تعني محاولة دعم موقف القرآن الغني عنها بل من أجل الاستئناس والفهم واستجلاء المظاهر الفنية ،فالقرآن الكريم لا يصطنع الأساليب التجسيدية الوجدانية إلا من اجل النفاذ إلى أعماق الإنسان من اقرب الطرق ، للتأثير فيها من اجل تغييرها وذلك من خلال استحضار الصور المؤثرة بكل مستوياتها وتجسد الموقف الحي من زواياه المختلفة ، فمستويات القص هنا

لا تجعلنا نسمع بما كان ، بل نراه أمامنا مستحضراً يداهم العقل والوجدان من كل أقطارهما(١٥).

٣- سورة يونس من الآية ٧٥ إلى الآية ٩٣ وفيها إجمال ما فصل في الأعراف ،إذ تعرض هذه السورة تفاصيل القصة مجملة من حيث الحوار الذي دار بين موسى وفرعون ،وقصة القاء العصا وإذعان السحرة ، ثم اعتزال موسى قومه ،ودعاء موسى على الظالمين واستجابة ذلك الدعاء،، ثم عبور موسى وبني إسرائيل البحر وقد ورد فيها خبر نجاة بدن فرعون من الغرق كي يكون عبرة لغيره بعد اندثار قومه أجمعين، وتقف القصة في سورة يونس عند عبور البحر ، وهذا المشهد مما اختص به مقام سورة يونس دون سواه ، وجاءت هذه المشاهد متناسبة ومتناغمة مع جو التكذيب الذي شُحنت به السورة والقصص المشترك الذي جاء.

٤- سورة طه من الآية ٩ إلى الآية ٩٨ فقد جاءت فيها قصة موسى عليه السلام مفصلة بدءاً من تكليف موسى بالرسالة وانتهاءً بسرد الأحداث في الأرض المقدسة ،فنحس للأحداث المعروضة مذاقاً خاصاً يتناسب مع السورة ، فبعض مظاهر الحدث الواحد ظاهرة وبعضها مغفلة ، وقد تحدثت القصة في سورة طه عن المن الإلهي على موسى عليه السلام أثناء مخاطبته إياه بجانب الطور {**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ◆ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى◆ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** } [**طه ٣٧-٣٩**] فبعدما أوتي موسى سؤله بعد دعائه الطويل ذكر بأن فضل الله عليه بإجابة دعائه سبقه فضل رعايته الخاصة في طفولته ، فهذه الجزئية توضح لنا أن موسى عليه السلام صنع صنعاً خاصاً بمهمة خاصة كبطل منقذ لا ينبت من الأرض إنباتاً عادياً.

ولفظة (تابوت) هنا في الآية التي سلفت فيها إيحاء كبير. فهنا التابوت أخذ معنى آخر غير المعنى الذي ينسرب إلى الذهن عند سماعه وهو الموت، الآن التابوت هنا في سورة طه هو الصندوق الذي وضع فيه موسى عليه السلام فطفى به على الماء وبهذا فانه أصبح ـ التابوت ـ وسيلة لإنقاذ موسى عليه السلام وليس صندوق الموت كما كان متعارفاً ، إذ إن موسى عليه السلام في هذا التابوت دفن في الماء الذي هو رمز الحياة ليبعث بعد ذلك بطلاً منقذاً متفرداً في طفولته ، فهنا أصبح رمز الموت هو رمز الحياة والاستمرار.وكذا شهدت القصة جانباً من نشأة موسى عليه السلام في سياق الربط على قلبه من لدن العزيز الجبار الذي ذكرّ نبيه موسى بأنه الذي أنقذه من اليم ونصره لما قتل نفساً وسوف ينصره على فرعون أيضاً.

٥ـ الشعراء من الآية ١٠ إلى الآية ٩٥ وتبدأ القصة بالمناداة الربانية بالرسالة الموسوية وخشية موسى عليه السلام من هذا التكليف ،ثم إسراء موسى بالعباد ونجاتهم من البحر وغرق فرعون وقومه فيه ، وقد غلب على آيات سورة الشعراء التفصيل والبسط في العرض وذكر زيادات ربما لم ترد في مثيلاتها ، إذ إننا نلحظ أن الكلمات التي وردت في الشعراء كان فيها نوع من القوة والمبالغة، وغلب على جو السورة الإنذار والتكذيب والعذاب الذي يتبع التكذيب ،لذلك جاء عرضها مصطحباً بطابع القوة في المواجهة ،والتفصيل في القول ،وحشد أساليب التوكيد لتقرير المعاني في النفوس ،فضلاً عن ورود العناصر الألسنية في تركيب الآية : {**فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**} ﴿ الشعراء : ٤١ ﴾ فالجملة الشرطية هنا مصدّرة بقوله ((**فلما جاء**)) وما في هذا التركيب من القوة التي يكتسبها المعنى حينما يأتي بالصيغة الشرطية وهذا يتناسب مع قوة المواجهة والتحدي التي انمازت بها هذه السورة ، فضلاً عن مجيء همزة الاستفهام في قوله : { **أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً**} ﴿ الشعراء : ٤١ ﴾ وطويت في السور الأخرى (١٦) فيبدو أن هذه الهمزة جاءت في مقام البسط والتفصيل وطويت في مقام الإيجاز.

إن سورة الشعراء قد أضافت أشياءً جديدة في مواقف فرعون وملئه من دعوة موسى ، تمثّل في محاولة النيل من شخص موسى عليه السلام باتهامه ضمناً بالجحود ونكران الجميل وعدم الوفاء ثم التهديد بالقصاص بطريقة غير مباشرة، فكان اتهام موسى بالجحود قد تمثل في منّ فرعون على موسى بتربيته وتنشئته في قصره ومكثه مدة طويلة من غير أن يدعي هذه الدعوة التي تجعل للناس رباً غير فرعون.

أما التهديد الضمني بالقصاص فيمثله تذكيره لموسى عليه السلام بجريمته، إذ استعمل فرعون أسلوباً عبر فيه عنها لشناعتها في تصوره باستعماله عنصراً أسلوبياً (فعلتك) ليثير مناصري القبطي من أجل الاقتصاص من موسى عليه السلام غير أن موسى يدافع عن نفسه ويرده رداً مفحماً فما كان ليتربى في قصره لولا استعباده لبني إسرائيل وأين منة التربية من منة الاستعباد لقومه بني إسرائيل.

٦- القصص من الآية ٣ إلى الآية ٥٠ ، وتشهد السورة ولادة موسى عليه السلام وإلقاءه في اليم ثم رجوعه إلى أمه ونشأته في بيت فرعون وقتله النفس، ثم تآمر القوم عليه وخروجه من المدينة إلى مدين ومن ثم زواجه هناك من إحدى ابنتي الشيخ الكبير، ثم مسيره إلى الطور ورؤيته النار ،وقصة تكليفه بالرسالة هناك ،وتلقيه الدعوة والمعجزات والمؤازرة ،ثم رجوعه إلى فرعون منذراً ورسولاً وعناد فرعون وتشييده الصرح لرؤية رب العالمين ثم هلاك فرعون ونجاة موسى وقومه ، وبهذا يتضح لنا مدى الجمود الفكري لفرعون والتبجح بالسلطان وتجاوزه الحدود والطغيان الذي كان يتصف به فرعون وملأه، فهاهم أولاء يحتكمون إلى الآباء والتقاليد فيما جاء به موسى عليه السلام بعد أن اتهموه بالسحر المفتعل ، فلم يرفضوا رسالته لأنها سحر ،ولم يسمعوا بمثل هذا الذي يدعو إليه من عبادة الله وحده بلا شريك.

إن في هذه السور الست التي مر ذكرها بدأت القصة في خمس منها بالتكليف الإلهي لموسى عليه السلام بالرسالة إلا في سورة القصص التي بدأت من حين ولد موسى

عليه السلام ،واستمرت ثلاث من السور هي (البقرة ، والأعراف ، وطه) بسرد الأحداث بعد عبور موسى وقومه البحر، في حين وقفت أحداث القصة في السور الثلاث الأخرى وهي (يونس ، الشعراء ، والقصص) عند عبور موسى البحر وغرق فرعون فيه.

أما السور التي أصلت أحداث القصة أو عالجت مشهداً واحداً منها فهي :

١ـ المائدة من الآية ١٩ ـ الآية ٢٦.

٢ـ هود من الآية ٩٦ ـ ٩٩.

٣ـ الإسراء من الآية ١٠١ ـ ١٠٤.

٤ـ المؤمنون من الآية ٤٥ ـ ٤٩.

٥ـ الفرقان من الآية ٣٥ ـ ٣٦.

٦ـ غافر من الآية ٢٣ ـ ٤٥.

٧ـ الذاريات من الآية ٣٨ ـ ٤٠.

٨ـ النازعات من الآية ١٥ ـ ٢٦.

الترديد في قصة موسى عليه السلام

إن القارئ لقصص القرآني يلحظ للوهلة الأولى أن أول أمثلة الترديد والتكرار إلحاحا هي قصة موسى عليه السلام فتكررت في مواطن شتى من السور المكية والمدنية وعرضت في كل موضع عرضاً ببيان أنيق ،ذلك أن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جمع المشاهد والمناظر ، وفي عرضه لتلك المشاهد يتحرى الدقة التامة في انتقاء الألفاظ ورسمها للشخصيات ، وإبراز الحوار القصصي في صورة رائعة وكأننا نستمع إليه وقت قراءتنا للأحداث القصصية.

وقد ركزت القصة القرآنية ـ قصة موسى ـ على بعض المشاهد في مواضع بعينها وطيها في مواضع أخرى مما يتسبب في تباين آراء الدارسين تجاه هذا التنوع والاختلاف ،إذ يرى بعض الباحثين[١٧] أن التكرار مزيّة في القصص القرآني ، فتتضح به كثير من جوانب المعجزة القرآنية البيانية ، وإن الأغراض الدينية المستوعبة

هي التي تتحكم في طريقة العرض والأسلوب المتبع ، لذلك نرى أن بعض مشاهد قصة موسى ذكرت مرة واحدة لم تتكرر بعدها في أيما موضع آخر، وهي قصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف (١٨) وبعض حلقاتها تكررت مرات عديدة مثل التكليف والمؤازرة والمعجزات والسحرة والغرق وغير ذلك من التفاصيل الدقيقة.

ويلحظ أن مشاهد قصة موسى عليه السلام تكررت في أكثر من سورة في كتاب الله العزيز لم تتشابه تشابهاً تاماً بألفاظها وتراكيبها وتسلسل الأحداث فيها ، فلم نجد هذا التشابه في سورتين اثنتين بطريقة واحدة ، بل إن في كل سورة ما لا نجده في الأخرى من حيث زيادة الألفاظ واختلاف التراكيب والأبنية، وبطبيعة الحال كل زيادة في المباني تؤدي إلى زيادة في المعاني فضلاً عن اختلاف الفاعل ، وثمة آيات مشتركة تكررت في أكثر من سورة لم تأتِ على أسلوب واحد بل انمازت إحداهما عن الأخرى باختلافها اختلافاً يسيراً استدعاه المقام الذي وردت فيه. وهذا ما أثار حفيظة المتصيدين بالنص القرآني والمناهضين للدين الإسلامي أن يجعلوا هذا تناقضاً ،مما حدا بالخطيب أن يرى أن اختلاف المقولات في الواقعة الواحدة ليس تناقضاً ،لأن القرآن لم يقصد إلى التاريخ ، فهذه المقولات المختلفة في أساليبها ليست إلا تجميعاً لتناثر الأقوال ، فكلمات الله إلى موسى عندما كلّمه أول مرة أخذت ثلاث صور ، ومقولات موسى عن النار اختلفت أيضاً ، فلماذا لا يكون اختلافهما يجمع ما بين ما قال موسى عليه السلام لأهله ، وما كان يجري في خاطره من مشاعر وإحساسات[١٩] وهناك من يرى أن تكرار القصة لم يأت في القرآن الكريم بشكل يتطابق فيه نص القصة مع نص آخر لها ، بل كان فيها شيء من الزيادة والنقيصة ، وإنما تختلف الموارد في بعض التفاصيل وطريقة العرض ، لأن طريقة عرض القصة القرآنية قد تستبطن مفهوماً دينياً يختلف عن المفهوم الديني الآخر الذي تستبطنه طريقة عرض قصة أخرى وهو ما يسمى بالسياق القرآني[٢٠].

ومن أجل تفصيل ذلك والوقوف على ماهية الاختلاف في أسلوب إيراد تكرار الجمل والتراكيب التي يتخيلها القارئ سنقف عند الوحدات الألسنية الواردة في أحداث القصة التي تعالج مشهد الحوار بين موسى وفرعون ،والحوار بين موسى والسحرة ومشهد إلقاء العصا ثلاث مرات.

السمات الأسلوبية للقصة في مشهدي الحوار والإلقاء

تكرر مشهد الحوار بين الملأ وفرعون بشأن مواجهة موسى عليه السلام ومعجزاته ، وكذا تكرر مشهد الحوار بين السحرة وموسى ، وتكرر أيضاً مشهد إلقاء العصا ، وقد وردت هذه المشاهد في القص القرآني بين الإجمال والتفصيل ، فأما التفصيل فيلحظ في :

١ـ الأعراف من ١٠٧ إلى ١٢٦.

٢ـ الشعراء من ٣٢ إلى ٥١.

٣ـ طه من ٦٢ إلى ٧٣.

وأما الإجمال فيلحظ في يونس ٧٩ ـ ٨٢.

والناظر في هذا المشهد المكرر في أربع سور يلحظ فيه اختلافاً كبيراً من سورة إلى أخرى من حيث التفصيل المهيب والإجمال الهادئ ،ومن حيث الحشد الفني المتلاصق السريع والتركيب المتراخي العابر ، ولما كانت الأسلوبية تتحرى سبب هذا الاختلاف في تصوير المشهد الواحد ، فقد وقفت في هذه المشاهد على ثلاث ظواهر أسلوبية مهمة وهي :

أولاً : التردد الأسلوبي

ونلحظ هذه الظاهرة الأسلوبية المتميزة في قصة موسى عليه السلام بشكل واضح ، وهي تقوم على الامتصاص والتوليد ، إذ غالبا ما نجد الحدث يمتص في آية من سورة ما ، ويسترجع بشكل آخر في آية أخرى من سورة أخرى. ولكن بمضامين فيها ملاحظ دقيقة تميزت عن البنية الأولى التي امتصّ منها الحدث ، مع التأكيد على ثبات المدلول، وتنوع الدال أي القوالب الجديدة، وهذا يمكن رصده فيما يأتي :

١- قال تعالى : {قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} ﴿ الشعراء : ٣٤ - ٣٥ ﴾.

وقال تعالى : {قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } ﴿ الأعراف : ١٠٩ - ١١٠ ﴾.

فآية الشعراء هي البنية الضابطة وفيها أسند إلى فرعون ، ووصف موسى عليه السلام بأنه ساحر ثم امتص هذا المشهد وتكرر في الأعراف ولكن ببنية متولدة جديدة استبدلت المشهد في البنية الضابطة بتغيير (الدال) فأسند الحدث إلى فاعل جديد وهم الملأ بدلا من فرعون في البنية الضابطة ، ووصف موسى عليه السلام في البنية المتولدة بقالب جديد وهو صيغة (فاعل ـ ساحر) بدلاً من صيغة (فعّال ـ سحّار) في البنية الضابطة ، فضلاً عن حدوث حذف في البنية المتولدة (الجديدة) إذ خلت من لفظة (سحره) التي ذكرت في البنية الضابطة. وربما في إسناد القولين شبهة لمن في قلبه مرض نحو القرآن ، فيتساءل : من صاحب القول ؟ أ فرعون كما في الشعراء أم الملأ كما في الأعراف ، فالقول واحد والكلام متشابه بعد جملة القول إلا في زيادة (سحره) في الشعراء ، ولكن الأسلوبية يمكنها حلّ هذه الشبهة بتتبع السياق القرآني في السورتين، فان القولين مختلفان من أن أحدهما سابق الآخر على الرغم من حصولهما في المكان والزمان عينهما ، وإن القائل في الشعراء غير القائل في الأعراف ، كما هو ظاهر القرآن ففي الشعراء كان فرعون وقومه مبهورين من معجزات موسى عليه السلام ، مصعوقين من فعل عصاه (الثعبان المبين) ويده البيضاء للناظرين فلا يستطيعون حراكاً ولا يقدرون على كلام ، وهنا تصدر فرعون قومه وتفوه بالكلام والبحث عن الحلول أمامهم كي يزرع فيهم روح التحدي والمواجهة بعدما صعقوا وكادوا أن يستسلموا لموسى ومعجزاته ، فأسند القول لفرعون ابتداءً ،لأنه هو البادئ بالكلام أمام قومه فهو زعيمهم ورئيسهم ـ على حد زعمه ـ وكلهم ناظر إليه ومستمع لما يقول ، والدليل على ذلك هو ورود القرينة المكانية (حوله) ففرعون هو

المتكلم ومن حوله المخاطبين. وهذا مشهد من القصة نقلته الشعراء ولم تنقله الأعراف.

أما المشهد الآخر فنقلته الأعراف ولم تنقله الشعراء ، لأن كلا المشهدين أحدهما يدل على الآخر.

ففي الأعراف كان الملأ من قوم فرعون قد سمعوا قول زعيمهم وربّهم فمضوا يرددونه بألفاظه وتراكيبه ثم انطلق هؤلاء يخبر بعضهم بعضاً، ويخبر بعضهم عامة الناس بالخطر المحدق بملك فرعون الذي هو أرض لهم جميعاً لأنهم منقادون لبطش فرعون وسلطانه عليهم ،ثم إنهم لم يزيدوا في قول زعيمهم شيئاً ولم ينقصوا منه سوى كلمة واحدة هي ((بسحره)) طلباً للتعجيل في المشورة والتحدي السريع والحل الناجع إزاء معضلة حلت بعرشهم. وإنما زاد فرعون في قوله (بسحره) لجلب انتباه قومه على أن خصمهم مجرد ساحر كبير وانه مهزوم مدحور ،وفي هذا حثّ لهم على جمع السحرة بغية هزيمته ، وكذا ورد النعت (سحّار) في الشعراء و(ساحر) في الأعراف ، لان شأن موسى مع السحر قد نبه اليه فرعون ابتداءً في الشعراء فجاء بـ (سحّار) و(سحرة) ، ولما علم الملأ هذا الخبر كان شغلهم الشاغل هو تنفيذ أمر زعيمهم بوجوب مواجهة هذا الساحر وتحديه فلم تظهر الحاجة لديهم على التأكيد على سحرة مرة أخرى فجاء بـ (ساحر) فقط في قولهم لان همّهم الاستعداد للمواجهة لا التنبيه على سحر موسى. فضلاً عن ذلك أن مشهد الأعراف يبين أن السحرة هم الذين بادروا فرعون بالكلام لما رأوا المعجزتين فقالوا إن هذا لساحر عليم.

وتحري الأسلوبية لسياق السورتين وتتبع آليات الاستبدال فيها كشف عن وجه الغموض أو الشبهة في إسناد القول لفرعون أو لملأه وذلك بجعل القول في الشعراء سابقاً له في الأعراف لأن القائل ابتداءً هو فرعون نفسه ، وأما في الأعراف فأن القول متمم لما في الشعراء لأن القائل هم الملأ الذين رددوا قول زعيمهم.

لكن الدكتور فاضل السامرائي رأى أن القول في الأعراف هو السابق وفهم منه أن فرعون كان متكبراً متغطرساً فلم يأبه بمعجزات موسى عليه السلام أسند القول إلى الملأ من باب تكبره وثباته بوجه دعوة موسى وفي الشعراء ضاق فرعون ذرعاً بدعوة موسى فأسند القول إلى نفسه لشدة مقام التحدي والمواجهة فـ ((القائلون في آية الأعراف هم ملأ فرعون في حين أن الذي قال في آية الشعراء هو فرعون نفسه. وذلك أن الحاجة كانت معه ، ففي الآية الأولى كان فرعون في مقام غطرسة الملك والترفع في الكلام وأما في آية الشعراء فان انقطاعه أمام موسى أنساه غطرسة الملك وكبريائه ، ودفعه أن يقول هو وأن يتكلم هو))[٢١].

وجاءت الوحدة الألسنية في سورة الأعراف مختلفة التركيب في قوله تعالى : { قَالُوا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ، يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ } ﴿ الأعراف : ١١١ - ١١٢ ﴾.

عن سورة الشعراء في قوله تعالى : { قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ، يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ } ﴿ الشعراء : ٣٦ - ٣٧ ﴾.

فنجد العنصر الألسني (ساحر) في الأعراف و (سحار) في الشعراء أن هذا التحول الأسلوبي في العنصر الألسني من أجل التناسب المفاجئ ،إذ إن مشهد الأعراف بيّن أن السحرة هم الذين بادروا فرعون بالكلام لما رأوا المعجزتين فقالوا : إن هذا لساحر عليم أما في المشهد نفسه من سورة الشعراء ، فقد كان فرعون متحيراً مبهوتاً ، وبلغت به الاستكانة أن طفق يحاورهم ويشاورهم في أمره ، فخرج عن كبريائه وقال هو لملئه : إن هذا لساحر عليم ، وهنا أراد ملؤه ممالأته وتطمينه وتسكين بعض قلقه فاستعملوا صيغة المبالغة (سحّار) فجاءوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطمأنوا من نفسه ويسكّنوا بعض قلقه[٢٢] ، وبهذا نستطيع القول أن لكل بنية أسلوبية من البنى الواردة في النص القرآني دلالتها الخاصة بها لذلك نجد أن النص القرآني لم يلتزم منهجاً خطابياً واحداً بل نجد التحول الأسلوبي ظاهرة بارزة في تعبيره النصي.

٢- قال تعالى : {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} ﴿ الأعراف : ١١١ ﴾ وقال تعالى: { قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } ﴿ الشعراء : ٣٦ ﴾.

لقد جاء قول الملأ في البنية الضابطة من سورة الأعراف بالفعل(أرسل) ثم امتص الحدث هنا وتولد بنية جديدة في سورة الشعراء وهي : قولهم (ابعث) وقد تحرت الأسلوبية هذا البناء الجديد بالنظر في معجمات اللغة[٢٣] التي ذكرت أنّ البعث أمضى من الإرسال وأقوى لأنه يتضمن معنى الإرسال وزيادة في الحث، قال الراغب ((أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه يقال : بعثته فانبعث))[٢٤].

والنظرة الأسلوبية في قصة موسى في الشعراء يفصح عن أن القصة تتسم بقوة التحدي وشدة المواجهة بين موسى وفرعون ، وقد خلت سورة الأعراف من هذه الملامح وركزت على عرض حياة موسى عليه السلام بدءاً من بلوغه الرشد وتكليفه بالذهاب إلى فرعون منذراً ثم دعاء موسى عليه السلام على قوم فرعون بنقص الثمرات ، وهكذا تتراخى القصة من حيث المواجهة المباشرة والتحدي، في حين أن الأحداث في الشعراء في مشهد تصوير الحوار بين موسى وفرعون متلاصقة دون تراخ ولا إهمال ، فناسب الفعل أرسل سياق الأعراف الخالي من المواجهة المباشرة القوية في هذا المشهد ، ومن خلال التأمل الأسلوبي لهذين المشهدين من سورة الأعراف والشعراء تتبين الفروق التعبيرية في الأسلوب وتبرز روعة التناسب الأسلوبي والمقام الذي هو فيه.

٣- قال تعالى : {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ} ﴿ الأعراف : ١١٥ ﴾ ، وقال تعالى : { قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى} ﴿ طه : ٦٥ ﴾.

فنجد أن المشهدين في الوحدتين الألسنيتين قد اعتمدا على عنصر ألسني واحد وهو الإلقاء. ولهذا العنصر من الأهمية بمكان في قصة موسى على وجه التحديد ،إذ اننا نجد هذا العنصر قد تكرر مرات كثيرة يبدأ من الوهلة الأولى لحياة النبي عليه السلام ،إذ

تؤمر الأم بأن (تُلقي) موسى في التابوت ، ويؤمر اليم بأن (يلقي) التابوت بالساحل ويؤمر موسى أن (يلقي) عصاه ، فإذا هي حية تسعى ويأمر موسى السحرة أن (يلقوا) ما بأيديهم. فلماذا جاء النص القرآني معبراً عن هذه المعاني التي وردت في قصة موسى عليه السلام باستعماله عناصر ألسنية أخرى تحمل معنى الإلقاء نفسه. مثلاً تؤمر الأم أن (تضع) موسى في التابوت ، ثم يؤمر اليم بأن (يخرج) التابوت إلى الساحل ثم يؤمر موسى أن (يرمي)عصاه ، ثم يأمر موسى عليه السلام السحرة أن يبدأوا (الرمي) بدلاً من الإلقاء.

إن البحث يذهب مع ما ذهب إليه أحد الباحثين وهو أن للعنصر الألسني (الإلقاء) خصوصية خاصة انماز بها عن الألفاظ الأخرى ، أولها هو انبثاق الحياة من الموت مثلما يُلقي الرحم ما فيه إلقاء. وثانيهما مشاركة (ألقى) لعنصر (اللقاء) بأحرفه وأصواته ، وباللقاء الجسدي تتحقق الحياة ألم يحيا موسى عليه السلام بالإلقاء. ألم تحيا العصا بالإلقاء ، أليس الرحم يلقي ما فيه إلقاء يظهر للنظرة العجلى أنه تخلص مما لا رغبة فيه ، وإذا بهذا الإلقاء تتحقق به استمرارية الحياة ، حياة موسى اعتمدت على سبع إلقاءات : الأول من رحم أمه ثم إلى التابوت ثم إلى الساحل والرابع إلقاء العصا أمام النار المقدسة التي كانت مقدمة انبثاق الرسالة : هنا لابد من ملحظ وهو أن النار كانت في شجرة والعصا من الشجر وارتباط الإنسان البدائي وشبه البدائي بالأشجار إلى درجة التقديس أكيدة، والإلقاء الخامس كان أمام السحرة ،إذ انتصرت الدعوة بذلك الإلقاء أما الإلقاء السادس ضرباً ،إذ ضرب بعصاه البحر من أجل نجاة قومه فانغلق رحم الماء كي يعبروا إلى حياة أخرى ، وفي المرة السابعة كان الإلقاء بضرب الحجر لتنفجر رحم الأرض الحبلى بالماء عيوناً يشربون منها ، فالعصا = الشجر هي سر الحياة واستمراريتها في هذه القصة التي ألح عليها القرآن إلحاحاً لم تظفر به قصة أخرى ، ولابد من الإلمام هنا إلى أن الرقم سبعة المقدس عند الشعوب

الإعرابية (السامية) قد تحقق هنا أيضاً فاحتاج موسى عليه السلام **إلى عون** العصا = الشجرة سبع مرات(٢٥).

أما مخاطبة السحرة لموسى عليه السلام فقد جاءت بصور وأساليب مختلفة في السور القرآنية ،إذ نجد اختلاف ذلك الأسلوب بين سورتي الأعراف وطه ، فجاءت البنية الضابطة في الأعراف في الجملة الاسمية (نحن الملقين) في حين كان توليد البنية الجديدة في طه بعد امتصاص المشهد من الأعراف بالخبر المفرد (أول من ألقى) ، وهذا الاختلاف بين البنيتين دليل على تشتت فكر القائلين واختلاف كل منهم وتفرق جمعهم بعكس قول موسى عليه السلام الذي جاء واحداً بقوله (القوا ما انتم ملقين) ليكون دليلاً على ثبات عزيمة موسى عليه السلام هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الأعراف لما استعملت (نحن الملقين) واستعملت (له) (أول من ألقى) فيه ما يدل على تطاول السحرة وعزيمتهم بالإثم في الأعراف وتراخيهم عن تلك الهمة والعزيمة في طه وذلك أن التراكيب (نحن الملقين) يفهم منه أن لا معقب لهم في الإلقاء ، وكأنهم كانوا واثقين من أن ما لديهم من سحر سيحسم النزاع لصالحهم وأن ما لدى موسى عليه السلام لن يجد فرصة في الصمود ومواصلة التحدي ، بل ربما ظنوا انه لا يلقي على الأرض شيئاً بعد إلقائهم أصلاً لأن (نحن الملقين) جملة اسمية تفيد الثبات وعدم التغير وهذا ما كانوا يأملون ، وقد جاء السياق في الأعراف معززاً شكيمة السحرة وصنعهم ومبرزاً للملأ قوتهم وعلو كعبهم في ما صنعوا{قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ }**[الأعراف ١١٦]** أي أن جميع الحضور قد دبت الرهبة في نفوسهم من هذا السحر العظيم ، ولا شك في أن موسى داخل في (الناس) من حيث امتداد الفزع إلى نفسه أما في طه فان التركيب (أول من ألقى) يفهم منه أن ثانيا سيلقي وربما تواصل الإلقاء حتى الحسم فالسحرة في طه موقنون بأن التحدي سيستمر ولن يكون خصمهم مسلما لما يلقون ، ولذا قالوا (أول من ألقى) وقد جاء التعقيب في طه مصوراً مشهد الإلقاء بصورة أقل حدّة وأخف وطأة

على النفوس ، لأن موسى وحده الذي أوجس في نفسه خيفة ، واستثنى منها ولم يقل (بسحر عظيم) قال تعالى : معقباً على قصة الإلقاء : {قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى }[طه ٦٦- ٦٧]، ولا شك أن استرهبوهم أمضى من أوجس في الدلالة على الفزع والرهبة ، من جانب ان طول اللقطة (استرهبوهم) يومئ بطول مدة الرهبة وقصر (أوجس) يومئ بأنه آني زائل من فوره ، فضلا عن أن توالي الأصوات والمقاطع في (استرهبوهم) يوحي بأن جمعاً غفيراً قد أُرهب وفُزع ، في حين لا يلحظ ذلك فـي (أوجس) لان المتوجس واحد وهو موسى عليه السلام وربما لم يظهر موسى عليه السلام خوفه أمام الملأ لأن جرس أوجس يدل على ذلك وكل ما جرى لموسى عليه السلام هو شعور داخلي علم الله به ، ولم يعلم به فرعون وملؤه.

صفوة القول : إن سياق الأعراف كان أشد وأمضى من سياق طه في تصوير مشهد الإلقاء ، وان الحشد الفني كان أقوى في الأعراف منه في طه ، ولذا جاء قول السحرة في الأعراف عبر تركيب اسمي (نحن الملقين) ليفيد الدلالة على الثبات والدوام ، لأن حال السحرة في الأعراف كان كذلك ، في حين تراخي المشهد في تصوير حالهم في طه ، فتنازلوا عن عزيمتهم وجاء قولهم يوحي بذلك (أول من ألقى) ، ولا يفهم من هذا أن هناك شبهة في قصة موسى عليه السلام بين أن يكون خائفاً في الأعراف أو أن يكون قوياً كما في طه ،وإنما نقل مشهد الأعراف شكيمة السحرة وعزيمتهم التي تراخت وتهافتت بعد حين ، فاكتفت الأعراف بنقل جانب من المشهد وتركت الآخر لـ (طه).

٤- قال تعالى : {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ} ﴿ الأعراف : ١١٧ ﴾ ، وقال تعالى : {فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ } ﴿ الشعراء ٣٢ ﴾ ، وقال تعالى : {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى، وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ} ﴿ طه ٦٨ - ٦٩ ﴾.

نلحظ هنا ظاهرة التردد في أكثر من آية ، إذ حصل امتصاص للبنية في الأعراف إلى بنيتين: الأولى : صغرى في الشعراء والثانية : بنية متولدة كبرى في طه ، ولرصد هذه التغيرات الأسلوبية الحاصلة يلحظ أن مشهد إلقاء عصا موسى في الأعراف قد صدر (بالوحي) في حين صدر (بالقول) في طه وتُرك دونما تصدير في الشعراء ، ولتعليل هذه التراكيب الأسلوبية الجديدة نجد أن سياق الأعراف قد اظهر خوف موسى ورهبته من فعل السحرة وهو سياق احتفى بالسحرة وصنعتهم الذي استرهب أعم الناس لأنهم جاؤوا بسحر عظيم ، وهنا جاء النصر الإلهي عبر الوحي (**أوحينا**) بأنه أمضى من القول لتضمنه معنى القول وزيادة لا يعلمها إلا الله ـ عز وجل ـ وكان موسى عليه السلام بحاجة لهذا الاتصال المباشر مع ربّه في مقامه المرعب آنذاك ، فقد دب الرعب إلى عامة الناس من عظيم فعل السحرة مع أنه ليس موجّها إليهم ، فما بالنا بموسى عليه السلام وهو وحيد وسط الجمع العاتي المارد. أما في سياق (طه) فإن موسى أوجس في نفسه خيفة، ولم يظهر هذا الخوف أمام الملأ لئلا يمعنوا في التطاول عليه والنيل منه. ولذا جاء النصر الإلهي بالقول لا بالوحي (قلنا لا تخف) ثم جاء النصر عبر أسلوب الأمر الحقيقي الذي يفيد توجيه موسى وإرشاده نحو سبيل النصر (وألق ما في يمينك) ، ولم يكن موسى بحاجة إلى (**الوحي**) في مشهد (طه) لن السحرة قد تهافتت عزيمتهم ولانت شوكتهم ، أما سياق الشعراء فقد خلا من (الوحي) و(القول) لأن موسى عليه السلام لم يبد وجساً خائفاً في الشعراء قطّ ،ولم يحتف سياق الشعراء بصنع السحرة بل فيه ما يحقر صنعهم (فألقوا حبالهم وعصيهم)[٢٩]، ولم يزد في نعتها أو التعقيب عليها كما فعل في طه (**يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**)[٣٠] فاسند الإلقاء إلى موسى في الشعراء دونما تصدير بالوحي أو بالقول.

وتبرز ثنائية الداخل / الخارج في المعالجة الأسلوبية لهذا الآيات ، فقد جاء السياق في الأعراف سريعاً متلاحقاً بعد الوحي (أن ألق عصاك ...) ، لرفع الخوف

الذي ربما طغى على موسى بعد أن استرهب السحرة جميع الناس وفيهم موسى عليه السلام. أما سياق (طه) فيبدو عليه بعض التراخي بعد (القول) ،لان خوف موسى كان داخليا ليس باديا أمام الناس فاحتاج أن يربط على قلبه من لدن العزيز الجبار{ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى } [طه ٦٨]، ثم يأتي الأمر الإلهي بالإلقاء. ولمراعاة تلاحق الأحداث وتتابعها في الأعراف قال تعالى : (**عصاك**) ولم يطل في نعتها كما فعل في (طه) فقال (**ما في يمينك**) لأن موسى كان في الأعراف محتاجاً إلى النصر السريع الخاطف ولا مجال للانتظار طويلاً بعد ما بهت الجميع من فعل السحرة.

أما في طه فيبدو موسى واثقا من النصر مستهزئا بخصومه على الرغم من توجسه الداخلي ، لذا جاء الأمر الإلهي كذلك ملائما لحال موسى في الثبات والصبر على الخصم والسخرية منه والثقة بالنفس (ما في يمينك).وفي هذا إشارة إلى أن القوم ربما يهزمون بيمين موسى عليه السلام دون الحاجة إلى فعل العصا ، وهي المعجزة الربانية ، وكذا يبدو موسى محتاجاً إلى النصر السريع الخاطف في سياق الشعراء الذي أجمل قصة الإلقاء. ومراعاة لهذين الملمحين الأسلوبيين : السرعة في توالي الأحداث والإجمال في سردها جاء اللفظ (عصاه) في الشعراء أيضاً ولم يكنّ عنها في طه.

ثانياً : التوازي

١- قال تعالى : {فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى } ﴿ طه : ٢٠ ﴾ ، وقال تعالى : {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ } ﴿الأعراف : ١٠٧﴾ ، وقال تعالى : {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} ﴿الشعراء : ٣٢﴾ ، وقال تعالى : {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ } ﴿ النمل : ١٠ ﴾.

عند تتبع التوازي الأسلوبي في هذه الآيات يتبين أن التوازي المقطعي فيها تام فإن الآيات مكونة من الترتيب الكتابي الآتي : جملة فعلية + الأداة إذا + جملة اسمية مكونة من فعل وفاعل ومفعول.

أما التوازي الصوتي فهو غير تام ، لأن (**تسعى**) مكونة من مقطعين وعدم التطابق الصوتي بين التركيبين يفسره الاختلاف الواضح بين لفظ (**الحية**) ولفظ (**الثعبان**) . فعلى الرغم من مدلولهما على الكائن المعروف غير أن المراد من (**الثعبان**) غير المراد من(**الحية**) ، فللعلماء آراء متعددة في ذلك ، إذ يرى الزمخشري أن لفظة (**الحية**) اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما (**الثعبان، والجان**) فبينهما تناف ، لأن الثعبان هو العظيم من الحيات والجان الدقيق ، وقد حاول أن يوجه هذه العناصر الألسنية بتوجيهين الأول منهما : أن العصا كانت وقت انقلابها حية ، تنقلب حية صفراء دقيقة ، ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعباناً ، وبهذا جاء النص بالعنصر الألسني (**جان**) ويريد أول حالها ، وعبر بـ (**الثعبان**) ما آل إليه. أما التوجيه الآخر هو أن الحية كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان ، وقد استدل على ذلك بوجود اللفظ الدال على الحركة (**تهتز**)[٢٦] وتبعه في ذلك أبو السعود[٢٧].

أما القرناطي فيرى أن العبرة بالمعنى ، وما الألفاظ إلا قوالب لمعانٍ نطق بها اللسان العبراني، وحكيت على المعنى باللسان العربي ، فلا تناقض ولا تضاد بين الألفاظ إذا كانت بمعنى واحد ، وتبعه في ذلك الخطيب الإسكافي[٢٨].

ويبدو أن الذين جاءوا بعد الزمخشري قد اخذوا عنه كثيراً وتحديدا في توجيهه لآيات الإلقاء. فضلاً عن ذلك إن جل التوجيهات التي حفلت بها التفاسير قد اهتمت بالنظرة الجزئية الموضعية أي اهتم أصحابها بالنظرة إلى كل لفظ على انفراد ، ويجتهدون في المقارنة بين المعاني المعجمية للألفاظ التي تواجههم وبيان الفروق في استعمالاتها ، ثم يتم الترجيح وفق الخلفية المعرفية لكل مفسر ، ووفقا لمنهجه التفسيري واتجاهه العلمي.

إن الوسيلة العلمية المساعدة في فهم كثير من الفروق اللغوية والاختلافات الأسلوبية والوقوف على الاستعمال اللغوي في الخطاب القرآني هي قرينة السياق التي تكون هي القرار الفيصل في الإيضاح حينما تعجز الدلالات المعجمية للألفاظ عن ذلك[٢٩]، فمدلول (**الثعبان**) يوحي بالحياة الموجودة في ذلك الحيوان فضلاً عن معنى آخر أهم وهو البطش والخوف بدليل القرينة السياقية نفسها ، فقد وصف بالثعبان المبين أي القوي الضخم ، ووصفت الحية بالسعي فقط ، فضلاً عن جرس لفظة الثعبان الموحي بذلك ، فربما يكون لفظ الثعبان موزعاً على الأصوات الثلاثة (الثاء ، والعين، الباء) ، فالثاء يوحي بسعي الثعبان وحركته أمام الملأ ، والعين يوحي بالفزع والهلع الذي دب منهم ـ سحرة فرعون ـ والباء يحاكي اللقف أي الأكل لأنها (**تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**) وإنما لاءم العين تلك المعاني لما فيها من قوة وجهر فهو صوت حلقي مجهور ناصع ، وكذا الباء صوت شفوي مجهور، وكذا نجد بناء لفظة (ثعبان) الذي حمل بالزوائد يدل على هذا المعنى الزائد عما فيه الحية ، إذ إن كل زيادة في المبنى موجبة لزيادة في المعنى ، ومن هنا كان عدم تمام التوازي الصوتي.

أما التوازي النوعي فهو تام في هذه التراكيب ، وذلك أن (**الثعبان**) وإن كان محملاً بالمعنى الزائد على الحية غير أن كلا منهما أدى وظيفته في الصورة التي ذكر فيها على نحو متساوٍ وبقيمة متوازية ، ففي سورة طه لم يكن موسى عليه السلام يعلم بشأن عصاه العظيمة فصدر الخطاب الإلهي إليه بالاستفهام {**وما تلك بيمينك يا موسى** }[طه ١٧]، فكان جوابه بكلمات قاصرة عن درك الشأن من التوكؤ والهش والمآرب الأخرى ، أي أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم من أمرها غير (جماد) يحركه وهو بيده ، ولما بعث الله عز وجل معجزة تربط على قلب موسى عليه السلام وتخيف أعداءه سماها ابتداءً (**حية**) إشارة إلى بعث معنى الحياة فيها ، وعضد ذلك ببيان حالها بجملة (**تسعى**) تأكيداً لمعنى الحياة في العصا ، وكل هذا كان في زمن التهيؤ للبعثة والإقدام على فرعون وملئه منذراً ورسولاً ، أما في الشعراء والأعراف فإن

موسى كان قد علم بحال عصاه المعجزة ، ثم كُلف برسالته الربانية وحينئذ سميت العصا (**ثعبان مبين**) بحضرة فرعون وملئه.

وبعد هذا لا ينبغي أن يسلم بالقول أن مجيء (**حية تسعى**) في طه موافق للفاصلة القرآنية (الألف) في طه أو أن مجيء (ثعبان مبين) موافق كذلك للفاصلة في الشعراء لان القرآن الكريم معجز بجرسه وألفاظه وتراكيبه ، وعوضاً عن القول برعاية الفاصلة يمكن أن يقال أن جرس الألف المتفشي المستطيل يلائم سعي الحية في الأرض من دون بطش ولا إفزاع ،أما جرس النون الخيشومي فيلائم مشاهد الفزع الذي دس في النفوس في بلاط فرعون ،وذلك بعد أن تضافر إيقاع النون من ألف المد التالية لأصوات (الثاء، والعين ،والباء) مما يوحي بطول الثعبان وضخامتها.

٢- قال تعالى : {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} ﴿ طه : ٢٢ ﴾ ، وقال تعالى : {اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ} ﴿القصص : ٣٢﴾ ، وقال تعالى : {وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} ﴿ الأعراف :١٨﴾.

إن التوازي في هذه التراكيب غير تام لأنه مكون من فعلين في طه هما : (اضمم ،وتخرج) ، أما في القصص فهو مكون من ثلاثة أفعال هي : (اسلك، وتخرج ،واضمم)، في حين اقتصرت الأعراف على فعل واحد هو نزع التوازي النوعي بين البنى الثلاث فنجده تاماً ،وهذا يحتاج إلى تأمل في الأسلوب القرآني في كيفية عرض هذا المشهد ـ إدخال اليد في الجيب ثم إخراجها للناظرين فقد وردت البنية الضابطة في طه بالفعلين (اضمم ، وتخرج) ثم جاءت البنية الجديدة الأولى في القصص بالفعل اسلك زائدة عما في البنية الضابطة من(الضم ،والإدخال)، وهذه الزيادة لها ما يوازيها في البنية الضابطة وهو ذكر الضم متعلقا باليد (**واضمم يديك إلى جناحك**) فضمّ اليد إلى الجناح يستلزم سلكها في الجيب بدليل قوله تعالى بعد ذلك مباشرة (**تخرج** ...) في حين لم يرد فعل الضم في القصص متعلقاً باليد وإنما بالجناح (**اضمم إليك جناحك**) وهذا لا يستلزم الإدخال في الجيب لذلك جاء بـ (**اسلك**) في بدء

الآية ليعبر عن إدخال اليد ، والداعي إلى هذا الأسلوب الجديد المطول في بنية القصص أن المقام في القصص مقام تفصيل لا إجمال فعلى موسى أن يتتبع التعليمات الإلهية كي يحقق المعجزة بجعل اليد بيضاء.

أما البنية الجديدة الثانية في الأعراف فقد اقتصرت على فعل واحد هو (**النزع**)وهذا الفعل يوازي في قيمته الفعلين (ضم اليد ،وإخراجها) في طه ، ومن ثم يعني توازيه مع أفعال (السلك ،والإخراج، والضم) في القصص ، ذلك أن جرس الفعل (نزع) بأصواته الشديدة أوحى بالمشقة والجهد في إخراج اليد ، مع شيء من التوجس الداخلي ، إذ النزع فيه من المشقة ما لا يخفى قال تعالى : {تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ} [القمر ٢٠]، فدلّ الفعل (نزع) على إدخال اليد في الجيب ثم إخراجها بسرعة ، وهذا ما تجسد في البنية الضابطة ، والبنية الموازية الأولى ، والدليل على إرادة معنى الإدخال والإخراج السريعين في آية الأعراف هذه التعقيب بجملة (**فإذا هي بيضاء للناظرين**) التي خلت منها البنيتان السابقتان ، إذ صدرت الجملة بـ (إذا) الفجائية التي تفيد مفاجأة الناظرين وقذف الرعب في قلوبهم ، وعنصر المفاجأة هنا يوحي بأن اليد لم تكن ظاهرة أمام الملأ بل كانت محميّة في الجيب ثم ظهرت فجأة إيغالا في إظهار المعجزة ، وبهذا يتحقق التوازن مع البنيتين الأخريين.

٣- قال تعالى : {يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ } ﴿ الأعراف : ١١٢ ﴾ ، وقال تعالى : {يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} ﴿ الشعراء : ٣٧ ﴾.

البناء المقطعي تام بين البنيتين فهو يتكون من ، الفعل (يأتوك) و شبه الجملة (**بكل ساحر ، بكل سحار**) ثم الصفة (**عليم**) ،وكذلك التوازي الصوتي تام ،فالبناء ثلاثي المقطع في الآيتين. أما التوازي النوعي هنا فيشهد عدم التطابق . ذلك أن (**ساحر**) وردت على بناء اسم الفاعل في الأعراف في حين جاءت صيغة مبالغة (**سحار**) في الشعراء وهي بنية تتضح بها زيادة المبني الذي عليه زيادة في المعنى ،

فدلالة صيغة المبالغة في الشعراء أمضى وقوعاً في حصول الفعل من دلالة ساحر في الأعراف. والتوازي النوعي غير التام في البنيتين مقصود في المقامين ، ذلك ان الأسلوب القرآني يتحرّى دوماً الجانب النفسي للشخصيات ، فسياق الشعراء أقوى في تصوير المواجهة والتحدي بين موسى عليه السلام وأخيه من جهة وفرعون وملئه من جهة أخرى ، ففي الشعراء تبدأ قصة موسى بالتكليف الإلهي ثم خشية موسى من هذا التكليف والربط على قلبه بالمعجزات والمؤازرة بهارون ، ثم تنتقل الأحداث بنا إلى بلاط فرعون فيحتدم الجدل احتداماً شديداً وينتهي باتهام موسى بالسحر بعد أن أظهر معجزاته أمام الملأ الذين بهتوا لما لدى موسى من معجزات، فرغبوا في قهره بشتى الطرق بعد أن ظنوه ساحراً، فأحضروا كبار السحرة لا صغارهم كي يتحدّوا موسى فقالوا :(**سحار عليم**) ولم يقولوا (**ساحر**) لأنهم أيقنوا أن صغار السحرة لم يقهروا موسى ومعجزاته. أما في الأعراف فإن تراخي مشهد التحدي والمواجهة بيّن فيها لاستطرادها في ذكر تاريخ بني إسرائيل عموماً مما استدعى استعمال (**ساحر**) دون (**سحار**).

٤ـ قال تعالى : {فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} ﴿ الأعراف :١١٧ ﴾ ، وقال تعالى {فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} ﴿ الشعراء : ٤٥ ﴾ ، وقال تعالى : {تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ} ﴿ طه : ٦٩ ﴾.

التوازي المقطعي بين البنيتين الأولى والثانية تام ، فهو يتكون من الأداة (إذا) والجملة الفعلية (**تلقف ما يأفكون**) لكنه غير تام مع البنية الثالثة ، فقد حذفت الأداة (إذا) منها وبقيت الجملة الفعلية (**تلقف ما صنعوا**). أما التوازي الصوتي فهو غير تام أيضاً إذ تباين بين رباعية المقطع في يأفكون وثلاثية (**صنعوا**) ، أما التوازي النوعي فغير تام أيضاً لوجود التباين بين مقاطع (**يأفكون**) الأربعة وبين مقاطع (**صنعوا**) الثلاثة. فالتوازي النوعي جاء غير تام إذ حصل التغاير بين (**ما يأفكون**) و(**ما صنعوا**) ولتعليل عدم تمام التوازي النوعي نعتمد على ما يسمى في

الأسلوبية (ثنائية الداخل والخارج) فقد عالجت سورتا الأعراف والشعراء نفسية موسى عليه السلام، أي حالة خوفه الشديد، في حين عالجت طه جرأة موسى عليه السلام وخوفه القليل ، فقد تدرجت حالة موسى النفسية بين الخوف في البدء ثم اكتساب الشجاعة شيئاً فشيئاً بعد أن ربط الله تعالى على قلبه، وقد رسمت الأعراف والشعراء حالة الخوف عند موسى عليه السلام فراحت تلاحق الأحداث في تصوير مشهد الإلقاء وذلك بالتعبير بـ (إذا) التي تفيد المفاجأة ، والفاء رابط يفيد التعجيل السريع لا المتراخي وقد سمي السحر (**إفكاً**) في الأعراف والشعراء ، من قبيل الربط على قلب موسى الذي بدا خائفاً في الأعراف والشعراء ، ومن قبيل بيان زيف السحرة الذين قدموا لتحدّيهم بقسمهم بمعجزة فرعون ، فكأنهم أفّاكون من جانبين : الأول في استرهابهم الناس بسحرهم ، وهذا ما ظهر واضحاً، والآخر: قسمهم بعزة فرعون بأن حبالهم وعصيهم ستضمن لهم الغلبة فجاء التعقيب بـ (**يأفكون**) لمراعاة السياق لتجد في الأعراف والشعراء معالجة مادية ومعنوية للباطل من سحر العصيّ والحبال ، والقسم بعزة فرعون ، في حين سمي السحر بالصنع في طه (**تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا**) الذي خصّ بالمعالجة المادية بدليل التعقيب عليه بأن هذا الصنع ما هو إلا كيد ساحر وأن هذا الساحر لا يفلح مهما أوتي من عدّة. وهذا التراخي في سياق طه في تصور المشهد يأتي لملاءمة السياق الذي ورد فيه ، إذ ركزت السورة على معالجة خوف موسى المشوب بالشجاعة وقد أسند الفعل (**تلقف**) إلى العصا في جميع المواضع ولم يغير بفعل آخر ، لأنه لا يغني عنه غيره قط ، إذ إن العصا ابتلعت الحبال والعصي بلعاً خاطفاً وسريعاً بعد أن تحولت إلى ثعبان مبين ، ولا يصور هذا المشهد السريع الخاطف إلا الفعل (**تلقف**) فحوفظ عليه ليدل بجرسه على معناه.

٥- قال تعالى : {فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ} ﴿ الأعراف : ١١٩ - ١٢٢ ﴾ ، وقال تعالى : {فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ قَالُوٓا۟

آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } ﴿ الشعراء : ٤٦ - ٤٨ ﴾ ، وقال تعالى : {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} ﴿ طه : ٧٠ ﴾.

التوازي المقطعي في البنى الثلاث غير تام - إذ حصلت زيادة في البنية الأولى على البنيتين الثانية والثالثة وهي (**فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين**) وحصل تقديم وتأخير في البنية الثالثة عما هو عليه من ترتيب في البنيتين الأولى والثانية ، إذ قدم في الثالثة هارون على موسى فترتب عليه عدم تمام التوازي الصوتي ، فالبنيتان الأولى والثانية ثلاثية المقطع ،والبنية الثالثة ثنائية المقطع. أما التوازي النوعي فقد اتفق بين البنيتين الأولى والثانية (**ساجدين**) في حين لم يكن تاماً مع البنية الثالثة التي جاءت بالفعل (**سجداً**) والتوازي غير التام بين هذه التراكيب له مسوغات أسلوبية اعتمدها القرآن الكريم في عرض هذا المشهد ، فالسحرة في الأعراف مغلوبون منقلبون صاغرون ساجدون مؤمنون ، لكنهم في الشعراء ساجدون مؤمنون فقط ، وكذلك الأمر في طه فسياق الأعراف كان قد قدم صورة مرعبة للسحرة الذين استرهبوا أعين الناس وجاءوا بسحر عظيم ،وهنا جاء الانقلاب على قدر التطاول والعدوّ فتراكمت أفعال الغلبة والقهر في الأعراف لتمحو من الذاكرة ما كان مقدما لهم من عظيم السحر واسترهاب الناس ، أما في الشعراء فإن السياق قد خلا تماما من الإشارة إلى خطر السحرة وقوتهم ، ولذا جاء الانقلاب عبر فعلين وهذا ملائم للسياق وكافٍ في تصوير الانقلاب والتحوّل ، أما طه فإن سياقها حمل خطراً خفيّاً للسحرة تمثل في انسلال الوجس إلى قلب موسى الذي أيّد بالقول الإلهي (**لا تخف**) والأمر (**ألق**) فجاءت أفعال انقلاب السحرة ملائمة لما بدر منهم تجاه موسى عليه السلام وهو ليس بالأمر المرعب المخيف ، ومع ذلك قال (**سجّداً**) في (طه) ولم يقل (**ساجدين**) كما في الأعراف والشعراء لان السحرة كان لهم في طه بعض القوة والتأثير على قلب موسى عليه السلام فجاء بناء (فعّل) في الانقلاب ليمحو ذلك الأثر ويسلك تلك القوة لان (**سجّدا**) أمضى في الآتيان بفعل السجود (**الساجدين**) ، أما في الأعراف فإن توالي

أفعال الانقلاب كان كفيلاً بتصوير المشهد ولم تظهر الحاجة إلى البناء (فعّل) في تصويره ، وقد صدرت البنى الثلاث بالفاء ، وفيه دليل على أن انقلاب السحرة حصل فور بطلان سحرهم الذي لقفه الثعبان المبين. أما مجيء الواو عاطفة في سياق الأعراف (**وألقي السحرة**) وجيء الفاء في الشعراء وطه (**فألقى**) فمن باب جمع أفعال التحول والانقلاب في الأعراف وعدم ترتيبها فيمكن أن نقول : أن السحرة نطقوا بكلمة الإيمان أولاً ثم سجدوا ثم اظهروا الصغر والغلبة لأن الواو لا تفيد الترتيب. أي أن مشهد الأعراف صور بدقة ما كان يفعل السحرة الذين رغبوا في التحول عن برهان ودليل ، أما في الشعراء وطه فالمشهد مجمل لم ينقل لنا من أفعال السحرة بعد انقلابهم غير السجود والإيمان ، وهما فعلان متلازمان أحدهما خبري والآخر كلامي وجاء تقديم موسى على هارون في الأعراف والشعراء لأن السياق ذكر قبلهما (**رب العالمين**) فقدم موسى وفيه ملمح دلالي على أنه هو المتصل بربّه عبر الوحي وعبر السياق أيضاً وعندما لم يذكر (**رب العالمين**) في طه قدم (**هارون**) لانتفاء موجب تقديم موسى الذي هو وجود رب العالمين باعث الرسل ومرسل الأنبياء.

ثالثاً : التماثلات

تماثلات القصص القرآني هي لمحات إشارية سريعة دالة على الأحداث ، تقوم على وظيفة التذكير وتستدعي التواصل مع تلك الأحداث بطريقة الاسترجاع، ولتماثلات القصص القرآني أنواع أربعة يأتي كل منها مبثوثة بين آيات السورة الواحدة حين يكثر الجدل مع المشركين ، ليقوم المثّل باختزال أحداث القصة النبوية اختزالاً مكثفاً يركز على موضوع العبرة في القصة ، وهذه الأنواع الأربعة استوعبتها قصة موسى عليه السلام فما جاء من هذه القصة على النمط الأول من التماثلات قوله تعالى : {**وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة** } الحاقة : ٩ فقد اكتفى هذا التمثل بذكر رمز القصة الرئيس وهو فرعون وجرت على تغيير الأحداث بعدها ، وقد

اختزلت قصة موسى بهذا الإيجاز البليغ لتحقق التذكير في نفوس المتلقين وتترك استرجاع أحداثها المفصلة إلى ذاكرة المتلقين ومدى اتصالهم بالنص القرآني. أما النمط الثاني من التمثلات فنلحظه في قوله تعالى: {وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ} ﴿ الذاريات ٣٨ - ٤٠ ﴾ ، فهذا التمثل بقصة موسى يقوم على ذكر الرمز وهو شخصية موسى عليه السلام وفرعون ، مشفوعاً بذكر الحدث بشكل مكثف بآلية الاقتصاد الأسلوبي ، فركز الحدث وهو إغراق فرعون مع جنوده في اليم ، واختصر الأحداث السابقة في القصة التي بسطتها سورة الشعراء وطه والأعراف وغيرها لتختزل القصة كاملة بحدث الإغراق ، في حين نجد في النمط الثالث للتمثل سعة في بسط الأحداث كما يظهر في قوله تعالى : {وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۞ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ} ﴿القمر ٤١ - ٤٢﴾ ، إذ اشتملت السورة على ذكر الرموز مجموعة في لقطة (آل) التي تشمل فرعون مع حاشيته ووزيره هامان والسحرة والجيوش والكهنة ومن في بلاط فرعون كلهم ، فضلاً عن ذكر الأحداث جميعها في لقطة (النذر) التي توحي بما جاء فيه موسى عليه السلام من نصح لفرعون، ودعوة لتوحيد الله تعالى وما يتخلل ذلك من جدل بين الشخصين وإظهار للمعجزات ، ثم ذكرت التكذيب من فرعون وقومه متبوعاً بذكر العذاب مختزلا في لفظة الأخذ ، وهذه التمثلات في قصة موسى عليه السلام تخرج إلى التذكير والوعظ المستمر، في حين جاء النمط الرابع للتمثلات تفسيراً للعناصر الواردة في بنية التمثّل ، من ذلك قوله تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ } ﴿ الأنبياء : ٤٨ ﴾ ، فهذا التمثل لقصة موسى عليه السلام فسر إيتاء موسى وهارون الفرقان والضياء والذكرى ، بكونه من المتقين فلما كان موسى وهارون من عباد الله المتقين الصالحين استحقا هذه المنزلة وتشريفهما بإنزال الكتاب

المقدس عليهما ـ التوراة ـ فضلاً عن نور البصيرة أسوة للعباد المؤمنين من بعدهما ، وهذه التمثلات كلها بنية احتجاجية ، يجعلها الله حجة على عباده بأنه تعالى أفاض عليهم بالعبر والمواضع واستشهد لهم بقصص القرون الماضية فصار الإذعان للحق لا مفرّ لهم من الأخذ به.

الخاتمة:

إن دراسة النص القرآني - بوصفه نصا مكتنزا بدلالات معمقة- تتطلب من الباحث معرفة واسعة بدقائقه وتمفصلاته ،وإلا وقع في مصيدة الفهم المبتسر الذي يقود دائما إلى نتائج بعيدة كل البعد عن الصواب، ولكي لا نقع في هذا المطب كان تركيزنا على جزئية من جزئيات قصة موسى عليه السلام وبالتحديد مشهدي الحوار وإلقاء العصا متقصين فيها ملامح الأسلوب ، وقد أوصلتنا دراستنا هذه إلى النتائج الآتية :

١- امتاز القرآن الكريم بتنوع أساليب السرد في عرضه للقصص ، فمرة تأتي القصة على شكل ملخص يتبعه تفصيلات ومرة تعرض بدون أي مقدمة أو تنويه ومرة ثالثة تقدم عن طريق المشاهد الحوارية القصيرة... الخ.

٢- كان عنصر التشويق حاضرا في القصص القرآني بشكل عام وقصة موسى عليه السلام بشكل خاص، فالمتلقي نتيجة هذا العنصر دائم التوثب ومستعد بشدة لمعرفة الآتي .

٣- لم يكن المتلقي عنصرا خاملا أو سلبيا في هذه القصة بل كان عنصرا ايجابيا من خلال الأفعال التي تدعوه إلى المشاركة الرؤيوية والوجدانية .

٤- التردد (التكرار) والتوازي والتماثلات أكثر الظواهر الأسلوبية شيوعا في قصة موسى عليه السلام ، وبالتحديد في المشهدين موضع الدراسة .

Abstrcat

Form shear Quranic major sign in inherited narrative Arab not to likeness of the religious and linguistic , but also high technology , which stated in its context , especially the delicate balance between the elements of the story and what is shrouded from the suspense and surprise and not to fabricate and automatic severe in view events and the main theme of the story itself. Also, the building stylistic

characteristic is one of the signs shear Quranic as alternate on the story per various methods Ihtmha context in which Ajtalpt for him and this was evident in the story of Moses, peace be upon him , has received this in several Wall dignified and it was every time there is a feature of my style Atjary with context which surrounded the side of the supply of the story, and with that the search did not degrade all the story of Moses, peace be upon him as the only Bmhhda dialogue between Moses and Pharaoh, and throwing the stick , but that these Iiimitan formed input valid signal to the rest of the story, and perhaps the reason for this Mahorithma as Akada to be the linchpin in this The story and the axis that is surrounded by all of the events and narrative components . The most important stylistic features that have been recorded and then they studied

هوامش البحث

(١) ينظر : القصص القرآني ، د. عبد الكريم الخطيب ،٤٢/١١

(٢) ينظر : مطالعات في الأدب المقارن ،عدنان محمد وزان : ١١٤ ، أدب القصة في القرآن الكريم دراسة تحليلية كاشفة ، د، عبد الجواد محمد المحص : ١٤٩.

(٣) ينظر : القصص القرآني ، د. عبد الكريم الخطيب ، ٤٢/١ ـ ٤٣.

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٤٣ ـ ٤٤ ، البيان القصصي في القرآن الكريم ، د. إبراهيم عوضين : ٢٢١-٢٢٢.

(٥) ينظر : القصة القرآنية ، مصطفى الهرندي : ٩٩/١.

(٦) ينظر : أدب القصة في القرآن الكريم ، عبد الجواد محمد : ١٣٣.

(٧) ينظر : سيكولوجية القرآن في منطوقه ومفهومه ، التهامي نقرة : ٣٥٢.

(٨) القصص القرآني في منطوقة ومفهومه ، د. عبد الكريم الخطيب : ٨٤/١ ، كذلك السرد القصصي في القرآن الكريم ، ثروة أباظة : ٦٦.

(٩) ينظر : سورة الكهف : ٩ ـ ١٢.

(١٠) ينظر : سورة مريم : ١٦ ـ ١٧.

(١١) سورة البقرة : ٢٦.

(١٢) سورة القصص : ٣ ـ ٦.

(١٣) ينظر : دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، د. سليمان الطراونة ، ١٠٩ ـ ١١٠.

(١٤) ينظر : تصريف القول في القصص القرآني ، د. محمد محمد صافي ، ١١٢

(١٥) ينظر : دراسة نصية أدبية ، د. سلمان الطراونة : ١٤١ وما بعدها.

(١٦) سورة الأعراف : ١١٤.
(١٧) قال في هذا ، الكرماني ، وابن الزبير القرناطي ، الخطيب الاسكافي ، الزركشي ، محمد بن عاشور ، سيد قطب وعبد الرحمن صنبكة الميداني ، وغيرهم.
(١٨) وكذلك ذبح البقرة التي سميت بها سورة البقرة ، أو قعود بني إسرائيل عن القتال بعد وصولهم إلى الأرض المقدسة في سورة المائدة ، وخبر نجاة بدن فرعون من اليم في سورة يونس.
(١٩) ينظر : القصص القرآني في منطوقة ومفهومه ، د. عبد الكريم الخطيب : ٢٣٤/١.
(٢٠) القصة القرآنية ، مصطفى الهرندي ، بقلم : حسن عز الدين بحر العلوم ، ١١٥/١.
(٢١) التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي : ٢٩٢.
(٢٢) ينظر : الكشاف ، الزمخشري ، ٣٠٢/٣.
(٢٣) لسان العرب ، مادة بعث.
(٢٤) المفردات ، الأصفهاني : ٥٢.
(٢٥) ينظر : دراسة نصية في القصة القرآنية ، د. سليمان الطروانة : ٤٧.
(٢٦) ينظر : الكشاف ، الزمخشري ، ١٤٦/٢
(٢٧) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٧٥/٤.
(٢٨) ينظر : ملاك التأويل ، ابن الزبير الغرناطي : ٨٠٥/٢ - ٨٢٢ ، درة التنزيل وغرة التأويل :٢١٢.
(٢٩) ينظر :روائع البيان في القرآن د. تمام حسان ١/ ١٦٣-١٧٤

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم
- البيان القصصي في القرآن الكريم ، د. إبراهيم عوضين ، مطبعة السعادة ، ط١ ، ١٩٧٧.
- أدب القصة في القرآن الكريم ، د. عبد الجواد محمد المحص ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العظيم ، محمد بن مصطفى الحنفي أبو السعود ، مكتبة ومطبعة محمد على صبح وأولاده ، مصر ، ط١ ، ١٣٤٧هـ.
- تصريف القول في القصص القرآني ، د. ا محمد محمد صافي ، المكتبة الوطنية ، الأردن، ط١ ، ٢٠١١.

- التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الزهراء ، قم المقدسة ، إيران ، ط١ ، ١٣٨٧هـ.
- دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، د. سلمان الطراونة ، المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٢م.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز أبو عبد الله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي ، (ت٤٣١هـ) ، مطبعة محمد محمد مطر ، الوراق ، مصر ، ط١ ، ١٣٢٧هـ ١٩٠٩م.
- روائع البيان في القرآن ، د. تمام حسان ، مصر ، ١٩٨٨
- السرد القصصي في القرآن الكريم ، ثروة أباظة ، مطبعة نعمقة ، مصر ، (د.ت).
- سيكولوجية القصة في القرآن ، التهامي نقرة ، تونس ، ١٩٧٤.
- القصة القرآنية ، محاضرات آية الله الشيخ مصطفى الهرندي ، بقلم حسن عز الدين بحر العلوم ، المعارف للمطبوعات ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، د. عبد الكريم الخطيب ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٦٤.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، شرح يوسف حمادي ، مكتبة مصر ، (دت).
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) ، تحقيق : عبدالله على الكبيد ، محمد احمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف القاهرة (د.ت).
- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، (ت٤٢٥هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان ، منشورات طليعة النور ، إيران ، قم المقدسة ، ١٤٢٧هـ.
- مطالعات في الأدب المقارن ، د. عدنان حمد وزان ، ط الدار السعودية بجدة ، ١٩٨٣.
- ملاك التنزيل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من آي التنزيل لأبي جعفر احمد بن الزبير الغرناطي ، (ت٧٠٨) ، تحقيق : سعيد الفلاح ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣.